

كتاب: مقدمة في العلاج الجمعي " من ذكاء الجماد إلى حجاب المطلق " الفصل السادس: من "العزلة وتشكيلات الارتباط الثنائي" إلى تخليق الوعي الجمعي



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2020/11/15

السنة الرابعة عشرة - العدد: 4824

د. يهيا خاوي - الطب النفسي، مصر

إلى تخليق الوعي الجمعي

الاختلاف الجوهري الذي وجدته بين خبرتنا وخبرة "يالوم" هو أن منطلقه كان أقرب إلى التصحيح والتوفيق والدعم، أما ما وصلني من خبرتنا فيمكن أن أزعج أن المنطلق كان أقرب إلى التعتة فالتحريك فالإبداع فتخليق الوعي الجمعي القادر على إحياء جدل نمو التطور على مستوى الوحدات البشرية والوحدات الاجتماعية الصغيرة، وبرغم اتفاقنا وإياه على غموض العامل العلاجي وأيضا على إمبريقية الخبرة وضرورة قياسها بالنتائج العملية على أرض الواقع، بغض النظر عن الخلفية النظرية أو حتى حقيقة ما يحدث، إلا أنه يبدو أن علينا أن نواصل توضيح الخلفية النظرية المحتملة تأكيدا على اختلاف الثقافة من جهة، واحتراما لاختلاف نوعية التشخيصات من جهة أخرى وخصوصا اشتغال المجموعات لدينا على نسبة مناسبة من الذهانيين.

حين عرفت هذا العلاج على انه "إحياء دياكتيك النمو" في بدايات هذه الممارسة لم تكن الصورة بهذا الوضوح بالنسبة لموقع هذا العلاج في تحريك طور "البسط والتشكيل" في نبض الإيقاعديوي، وخاصة فيما يتعلق بالنقلة من العزلة أو الارتباط الثنائي إلى الانتماء للوعي الجمعي، إلا أن هذه المسألة أخذت تتضح لي مع استمرار الكتابة والمتابعة حتى فضلت أن أخصص لها هذا الفصل.

المرض النفسي بعد استبعاد المرضى العضوي التشريحي مؤقتا) هو مرض العلاقات البشرية كما تتجلى في مظاهر اضطرابات تشكلات الوعي (فالسوك) وكذلك صعوبات التواصل (فالمعانة أو الإيذاء أو كليهما مع درجات من الإعاقة). نوبات النمو بالنسبة لنظرية التطور التي أنتمى إليها هي استعادة لمراحل نمو الحياة بشكل إيقاعي منتظم لا يتوقف، وفي نفس الوقت لا يوجد تماثل مطلق مهما ضؤل الفرق بين نبضة وأخرى، يحدث ذلك من أصغر نبضة ولادة الفكرة (ميكروجيني Microgeny) حتى أزمة النمو (الإريكسونية Eric Erickson مثلا) مرورا بنبضات النوم/الحلم (نوم "رمك" واللا "رمك & REM" NREM) وسوف نقدم التصورات والمشاهدات على عدة محاور أهمها:

الأول: ربط الارتباط الثنائي بين الأحياء، بتجليات أنواع الارتباط الثنائي بين البشر آخذين المؤسسة الزوجية كنموذج.

الثاني: فروض النقلة من العزلة أو الارتباط الثنائي، الإيجابي والسلبى، إلى تشكيل الوعي الجمعي كمرحلة أرقى وأوضح تطورا، دون التخلي عن الارتباط الثنائي.

الثالث: حركية برنامج الدخول والخروج في تطبيقاته وأثرها على استمرارية الانتقال من الثنائي إلى الجمعي وبالعكس بإيقاع مضطرب، لا يتوقف ولا يكتفى بأحدهما بديلا عن الآخر.

ما وصلني من خبرتنا فيمكن أن أزعج أن المنطلق كان أقرب إلى التعتة فالتحريك فالإبداع فتخليق الوعي الجمعي القادر على إحياء جدل نمو التطور على مستوى الوحدات البشرية والوحدات الاجتماعية الصغيرة

يبدو أن علينا أن نواصل توضيح الخلفية النظرية المحتملة تأكيدا على اختلاف الثقافة من جهة، واحتراما لاختلاف نوعية التشخيصات من جهة أخرى وخصوصا اشتغال المجموعات لدينا على نسبة مناسبة من الذهانيين

المرض النفسي (بعد استبعاد المرضى العضوي التشريحي مؤقتا) هو مرض العلاقات البشرية كما تتجلى في مظاهر اضطرابات تشكيلات الوعي (فالسوك) وكذلك صعوبات التواصل (فالمعانة أو الإيذاء أو كليهما مع درجات من الإعاقة)

الرابع: فروض العلاقة التي تبين دوام نبض حركية هذا الوعي الجمعي المتشكل نحو الوعي الجماعي الأوسع إلى الوعي الكوني المطلق.

وبعد:

1- انطلاقاً من التذكرة بأن الإنسان يحمل في تركيبه الحيوي البيولوجي أغلب أنواع الأحياء، ومن ثم أغلب تنويعات العلاقات، فالأرجح أن تكون معظم هذه البرامج العلاقتية الثنائية جاهزة في تركيبه. ومن ثم فإن نجاح أو فشل مثل هذه العلاقات الشديدة الصعوبة قد يتوقف على تناسب تشييط حركية النمو بصفة عامة، مع المرحلة أكثر مما يتوقف على انتقاء وتفضيل نوع بذاته غير حاضر بالضرورة في وقت بذاته وغير مضمون استمراره.

2- إن حركية النمو ذهاباً وحيثه، نكوصاً وتطوراً، اقتراباً وابتعاداً، دخولاً وخروجاً هي التي تسمح لكل هذه التنويعات أن تدخل التجربة وتخرج منها بشكل مرن واعد، مروراً بالآلام المصاحبة، وتعرضاً للمضاعفات المحتملة.

3- إن الذي يسمح بالحفاظ على الأمل في هذه العلاقات الثنائية الصعبة والضرورية في آن، دون أن يعاق أو يضار أحد الطرفين أو كليهما بشكل دائم أو متزايد، هو دعم حركية النمو هذه لأطول وقت، ونحن نضع في الاعتبار حتمية الإيقاع الحيوي وقوانينه التي تساعد على ذلك، ليأخذ كل طور حقه - إذ تتبادل الممارسة المستوعبة مع البسط الإبداعي - بمعنى أن المسيرة تحتاج إلى وقت للامتلاء بالخبرات الإيجابية وغير ذلك، حتى تمتلئ - بالقدر المناسب للمرحلة، ثم يطلق النبض الحيوي طور البسط Unfolding phase الذي تصاحبه عادة أزمة نمو، لو أحسنًا معاشيتها، فإنها تعيد تشكيل العلاقة على مستوى أعلى كما ذكرنا... وهكذا.

على هذا الأساس يمكن أن نضع فروضاً لحركية العلاج الجمعي ومساره انطلاقاً من هذه الأسس العامة ولكن دون محاولة التدقيق في فصل أطوار النبض عن بعضها البعض ولا التركيز على تفاصيل حركية كل فرد في المجموعة على حدة، تماماً مثلما لا تستطيع رصد النباتات المتناهية الصغر (الميكروجيني) على مسار النمو الطبيعي للطفل فالراشد حتى نهاية العمر، وربما مثلما لا نستطيع أن نرصد حركية بلورات السكر في تشكيل السكر النبات: في التجربة السالفة الذكر.

البداية:

رحت أنتبه إلى فحص ومراجعة ظاهرة هذا التعلق الثنائي Symbiosis بدافع البحث عن أبعاد مضاعفة معقدة نسبياً في العلاج الجمعي، حين كنا نرصد ما يسمى "الثنائية" Pairing كما وصفها (Bion) حين يرتبط أحد أفراد المجموعة ارتباطاً خاصاً جداً بآخر أو أخرى، وذلك أثناء العلاج، إما لأنه يشبهه، أو لأن دفاعات أحدهما تدعم دفاعات الآخر وبالعكس، كنا نسمى ذلك من باب الفكاهة (العلاجية) أو التعرية للإفافة "سَنْبُطَة" من Symbiosis ، (وذلك بعد أن نحتننا فعلاً جديداً في اللغة العربية هو فعل: سَنْبُط، يُسَنْبُط، وننظر إليها نظرة ذات دلالة، وتتعامل المجموعة - تحت قيادة المعالج (أو أكثر) - مع هذه الظاهرة وهي تهدف إلى التخفيف من حدة هذا الترابط السلبي عادة، حتى يعود انفتاح هذين العضوين على المجموعة، بما يدعم مسيرة نموها وتقدم المجموعة الذي هو هدف العلاج أساساً، ليعود على أفرادها جميعاً بحفز مسيرة التطور.

ثم إنني اضطررت أن أرجع إلى أصل كلمة Symbiosis أثناء كتابة أطروحتي عن تحرير المرأة وتطور الإنسان سنة 1975⁽²⁾ بحثاً عن تنويعات "العيش معاً" عند مختلف الأحياء، فلم أتمكن - في الوقت المتاح - من أن أحصد التباديل والتوافيق بسهولة من المراجع الأوسع، فلجأت إلى القاموس الطبي دورلاند⁽³⁾ ، وإذا بي أعثر على خمس تصنيفات متنوعة، بلغت من الوضوح والتمايز أن أوجت لى أن أحاول أن أنظر في العلاقات البشرية الثنائية، خصوصاً بين الرجل والمرأة، من خلال هذا المنظور.

نوبات النمو بالنسبة لنظرية التطور التي أُنتمى إليها هي استعادة لمراحل نمو الحياة بشكل إيقاعي منتظم لا يتوقف، وفي نفس الوقت لا يوجد تماثل مطلق مما يؤهل الفرق بين نبضة وأخرى، يحدث ذلك من أصغر نبضة ولادة الفكرة (ميكروجيني النمو) (Microgeny) حتى أزمة النمو (الإريكسونية Eric Erickson مثلاً) مروراً بنبضات النوم/الحلم (نوم "رمك" والآخر "رمك" & REM NREM

أن الإنسان يحمل في تركيبه الحيوي البيولوجي أغلب أنواع الأحياء، ومن ثم أغلب تنويعات العلاقات

الأرجح أن تكون معظم هذه البرامج العلاقتية الثنائية جاهزة في تركيبه. ومن ثم فإن نجاح أو فشل مثل هذه العلاقات الشديدة الصعوبة قد يتوقف على تناسب تشييط حركية النمو بصفة عامة، مع المرحلة أكثر مما يتوقف على انتقاء وتفضيل نوع بذاته غير حاضر بالضرورة في وقت بذاته وغير مضمون استمراره

إن حركية النمو ذهاباً وحيثه، نكوصاً وتطوراً، اقتراباً وابتعاداً، دخولاً وخروجاً هي التي تسمح لكل هذه التنويعات أن تدخل التجربة وتخرج منها بشكل مرن واعد، مروراً بالآلام المصاحبة، وتعرضاً

بصفة أساسية، وبإيجاز أرجو ألا يكون مخلأً، وجدت أن تقسيم التنويعات يعتمد على مدى الضرر أو الفائدة، أو عدم التأثير، مما يعود على كل طرف من الطرفين نتيجة لهذا "التعايش معا".
وقد وجدت أن عرض هذه التنويعات في جدول موجز يمكن أن يكون أكثر فائدة وأوضح للمقارنة على الوجه التالي:

الذي يسمع بالحفاظ على الأمل في هذه العلاقات الثنائية الصعبة والضرورية في أن، دون أن يعاق أو يضار أحد الطرفين أو كليهما بشكل دائم أو متزايد، هو دعم حركية النمو هذه لأطول وقت

نضع في الاعتبار حتمية الإيقاع الحيوي وقوانينه التي تساعد على ذلك، ليأخذ كل طور حقه – إذ تتبادل الممارسة المستوحبة مع البسط الإبداعي

يمكن أن نضع فروضا لحركية العلاج الجمعي ومساره انطلاقا من هذه الأسس العامة ولكن دون محاولة التدقيق في فصل أطوار النبض عن بعضها البعض ولا التركيز على تفاصيل حركية كل فرد في المجموعة على حدة

لا تستطيع رصد النبضات المتناهية الصغر (الميكروجيني) على مسار النمو الطبيعي للطفل فالراشد حتى نضج العمر

الارتباط التكافلي العلاقة التي ينمو من خلالها كل من

نوع الارتباط	الكائن الأول	الكائن الثاني	المقابل البشرى الثنائى (فى الزواج كمثال)
<p>الارتباط التكافلي Mutualism</p> 	<p>يستفيد وينمو بما هو، لما هو من خلال مواكبته للأخر.</p>	<p>يستفيد وينمو أيضا بما هو، لما هو من خلال مواكبته للأخر</p>	<p>العلاقة التي ينمو من خلالها كل من الطرفين بالرؤية، والتكافل، والقرب، والحركة، والتقارب الجسدى، والتباعد الحميم، مع الاحتفاظ بمسافة مرنة متغيرة متجددة طول الوقت. وهو المفروض أو المأمول فى العلاقات الزوجية أو الثنائية الناضجة المتطورة.</p>
<p>الارتباط التعايشى Commensalism</p> 	<p>يستفيد من خلال التواجد مع الآخر، وليس على حسابه.</p>	<p>لا يستفيد ولا يتضرر بما يفعله الآخر، ويواصل هو حياته وهو يسمح لهذا الآخر بما يأخذه حسب الأحوال والمتاح.</p>	<p>العلاقة من جانب واحد، حيث يستمر أحد الأطراف (الرجل مثلا) عادة، موافقا على ما يأخذه الطرف الآخر منه، أحيانا فى مقابل استعمال هذا الطرف استعمالا ظرفيا برضا نسبي، أو بدون هذا الاستعمال، فتتحقق - مثلا- المؤسسة الزوجية للرجل تأكيد رجولته ومواصلة إنجازه فى حين تمارس المرأة (الزوجة) - ربة المنزل دون عمل خارجة عادة- اعتمادها غير الطفيلي عليه، وهو ماض فى سبيله لنفسه وتقتصر استفادتها على الحصول على احتياجاتها الأساسية برغم توقف نموها نسبيا أو تماما.</p>

الارتباط الطفيلي
Parasitism



يستفيد ويعيش على حساب الطرف الآخر، معتمداً عليه، مستهلكاً طاقته، (ماصياً غذاءه.)

يصاب بالضرر من هذه العلاقة الاعتمادية الماصّة، المستهلكة.

الارتباط هنا مثلاً في الزواج الذي تصل فيه الاعتمادية الطفيلية إلى درجة أن يستعمل أحدهما الآخر لتفريغ شحناته على حساب انسانية هذا الآخر ونمائه وحقوقه، فمثلاً: الرجل يستعمل المرأة أمماً أو مجالاً للتفريغ على حساب كيانها واستقلالها، أو تستعمل المرأة الرجل كعمول للمصاريف أو مُدْبَذِب للجنس فقط، فيعاق ويُستنزف.

الطرفين بالرؤية، والتكافل، والتفويض، والحركة، والتفويض الجسدي، والتباعد الحميمي، مع الاحتفاظ بمسافة مرنة متغيرة متجددة طول الوقت

الارتباط التعايشي العلاقة من جانب واحد، حيث يستمر أحد الأطراف (الرجل مثلاً) محادثة، موافقاً على ما يأخذه الطرف الآخر منه، أحياناً في مقابل استعمال هذا الطرف استعمالاً طرفياً برضاً نسبي، أو بدون هذا الاستعمال

الارتباط التساغي
Amensalism



يعاق أو يصاب بالضرر نتيجة لهذا الارتباط

لا يتأثر لاضرراً ولا فائدة، وكان أثره السلبي على الطرف الآخر هو نتيجة ثانوية يتحملها الطرف الآخر وحده الذي ارتضى ذلك، أو احتاج لذلك، أو اضطر لذلك

مثل بعض الزواج (أو العلاقة) التي تدفع فيه الزوجة ثمن العلاقة دون أن يتأثر الزوج كثيراً إذ يمضى في طريقه المستقل (الناجح عادة) يستعملها بعض الوقت، وهكذا يتفاهم الضرر وتتحدى الإعاقة خاصة لو الظروف فرضت استمرار هذه العلاقة الطالمة مدداً طويلة، وواضح أنه توجد مساحة تداخل بين هذا النوع وبين الارتباط الطفيلي، ربما الفرق في درجة الاعتمادية، ومدى الضرر المحتمل.

الارتباط الطفيلي الارتباط هنا مثلاً في الزواج الذي تصل فيه الاعتمادية الطفيلية إلى درجة أن يستعمل أحدهما الآخر لتفريغ شحناته على حساب انسانية هذا الآخر ونمائه وحقوقه، فمثلاً: الرجل يستعمل المرأة أمماً أو مجالاً للتفريغ على حساب كيانها واستقلالها، أو تستعمل المرأة الرجل كعمول للمصاريف أو مُدْبَذِب للجنس فقط، فيعاق ويُستنزف

الارتباط التحطيمي التهلكي
Synnecrosis



يتحطم ويعاق ويهلك من خلاله وبسبب هذه العلاقة الثنائية.

يتحطم ويعاق أيضاً حتى يهلك من خلال وبسبب هذه العلاقة الثنائية.

مثل الزواج أو العلاقة التي تعطل الاثنین معا حتى لو أرضتهما بعض الوقت، إرضاءً طرفياً يبرر بعض الاستمرار حتى التهلكة، ويبدو أن هذا النوع على خطورته يحقق نزوعاً عديماً لكلا الطرفين.

الارتباط التساغي مثل بعض الزواج (أو العلاقة) التي تدفع فيه الزوجة ثمن العلاقة دون أن يتأثر الزوج كثيراً إذ يمضى في طريقه المستقل (الناجح محادثة) يستعملها بعض الوقت، وهكذا يتفاهم الضرر وتتحدى الإعاقة خاصة لو الظروف فرضت استمرار هذه العلاقة الطالمة مدداً طويلة

ونكمل الأسبوع القادم: تعقيب محدود وتنبيهات هامة

- [1] يحيى الرخاوى (مقدمة فى العلاج الجمعى (1) من ذكاء الجماد إلى رحاب المطلق) (الطبعة الأولى 1978)، (والطبعة الثانية 2019) منشورات جمعية الطب النفسى التطورى، والكتاب متاح فى مكتبة الأنجلو المصرية وفى منفذ مستشفى دار المقطم للصححة النفسية شارع 10، وفى مركز الرخاوى: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا بموقع المؤلف www.rakhawy.net وهذا هو **الرابط**.

- [2] يحيى الرخاوى: "تحرير المرأة وتطور الإنسان"، العدد الثانى والثالث- المجلة الاجتماعية القومية. المجلد الثانى عشر سبتمبر 1975
[3]- Dorland's Medical Dictionary (24th Edition)
W.B' Saunders Co. Philadelphia and London. 1967.

الارتباط التطبيعى التَّهْلُكِي
مثل الزواج أو العلاقة التى
تعطل الاثنين معا حتى لو
أرضتهما بعض الوقت، إرضاءً
طرفيا يبرر بعض الاستمرار
حتى التهلكة، ويبدو أن هذا
النوع على خطورته يحقق نزوماً
عدميا لكلا الطرفين

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD151120.pdf>

**** **

سلسلة الكتاب العربى " نفسانى "

إصدارات مكتبة محكمة فى علوم وطب النفس

إصدارات فى موضوع الاسلام وعلوم النفس

العدد 21 (خريف 2011)

- الكتاب: علم النفس فى التراث العربى الإسلامى
- المؤلف: أ.د. الزبير بشير طه (السودان)

العدد 20 (ربيع-صيف 2011)

- الكتاب: آفاق توطين علم النفس فى العالم العربى
- المؤلف: أ.د. عمر هارون الخليفة (السودان)

العدد 17 (شتاء-ربيع 2009-2010)

- الكتاب: أزمة علماء النفس المسلمين
- المؤلف: أ.د. مالك بدرى (السودان)

الكتاب العربى " نفسانى " على المتجر الالكترونى

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=16&controller=category&id_lang=3

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربى رقىا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمى

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الالكترونى

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوى 2020 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الإصدار الثامن)

الشبكة تدخل عامها 20 من التأسيس و 18 على الويب

20 عاما من الكد... 18 عاما من الإنجازات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

(رابط الكتاب)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز"

عضوية "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

اهداء العضوية

- عضوية " الشريك الراسخ في العلم " (عضوية فخرية)

- عضوية "الشريك المميز" (عضوية الشرفية)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

*** **

" نحو لياقة نفسانية أفضل لحياة طيبة "

الصفحة العلمية للدكتور جمال التركي

تسجيل الاشتراك

www.facebook.com/turky.PsyFitness

*** **

سلسلة الكتاب العربي " نفساني "

اصدارات مكتبة محكمة في علوم وطب النفس

*** **

دليل سلسلة اصدارات " نفساني " على الشبكة

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm>

الكتاب العربي " نفساني " على المتجر الالكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=16&controller=category&id_lang=3

الكتاب العربي " نفساني " على الفايس بوك

<https://www.facebook.com/The-Arab-eBook-of-Psychological-Sciences-217222165315189/>

اللوحة الاعلانية للكتاب العربي " نفساني "

<http://www.arabpsynet.com/AFP-PubBr/APF.NafssanyPubBr.pdf>

تحميل فصل الانجاز الثالث من الكتاب السنوي الخامس

- التحميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية "

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetPart3.pdf>

- التحميل من موقع المتجر الالكتروني لـ " مؤسسة العلوم النفسية العربية "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=291&controller=product&id_lang=3